المطلوب

مديرة بيت ... !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

« أفلسنا والله يا صاحبي ! »

« وأى افلاس يا أخي ؟ لكأن الدنيا أقفرت ... »

« والعمل ؟ »

« العمل ؟ تسألني ما العمل ؟ »

« لقد كنتُ أقول دائماً وأؤكد للمرتابين من إخواننا ، إنك آيةٌ من آيات الله فى الذكاء وصحة الادراك ! نعم أسألك ما العمل ؟ »

« وهل أنا أعرف ؟ »

« لا رأى تشير به ؟ ... لا حيلة تتحيلها ؟ »

« حيلة ؟ هل تعني ... »

« لا بأس ! لا بأس ! أرح نفسك . كم ساعتك الآن ؟ »

« ساعتى ؟ »

« هذا أقل ما يمكن أن أنتفع بك فيه »

« ساعتى يا سيدى ... انتظر أقل لك ، ساعتى ... س ... سُرقت ! »

فنهض الأول عن كرسيه بلا كلام ، ومضى الى المكتب ، فجلس اليه وتناول ورقة وأكب عليها وراح يكتب

* * *

جرى هذا الحديث فى حجرة واسعة اتخذها للنوم هذان الصاحبان ، ووضعا فيها سريريهما وحقائبهما وكتبهما وأدواتهما وأشياءها الأخرى ، فلو رأيتها — أى الغرفة — لحسبتهما آيبين من سفر . وكان ثم حجرتان أخريان فى مسكنهما ، ولكنهما كانا لا يستعملانهما أو ينتفعان بهما إلا فى الندرة القليلة ، إذا زارهما من لم ترتفع بينه وبينهما الكلفة . فكانت هذه الحجرة الفسيحة للنوم والمطالعة والطعام والشراب والسمر ، واللهو أيضاً . ولو شاءا لاتخذا بيتاً أكبر وأوسع ، ولأتتاه بما هو أوثر وأليق ، ولكنهما كانا يؤثران الخشونة ، وينفران من التطرّى والرخاوة ، ويستقبحان أن يكونا مترفين وإن كثر المال فى أيديهما . وكانا ظريفين لا يعدلهما أحد فى ظرفهما ، وقد تآخيا على أصفى ود وأتم مداخلة ، فهما خليط وأمرهما فى كل شئ واحد ، لا يختلف ولا يتعدد .

ونهض الأول عن المكتب وفى يده ورقة يتأملها ، ومشى متمهلا إلى صاحبه حتى إذا بلغ مكانه دفع بالورقة إليه فقرأ فيها

« مطلوب : »

« مديرة لبيت ، ويشترط أن تكون متعلمة وخبيرة ، والأجر يُتفق عليه . والرد يكون باسم السيدة نينا شقراوى بجريدة الكوثر بالقاهرة »

ثم سأل : « ما هذا ؟ »

قال : « هذا ؟ هذا إعلان ! ماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟ »

فسأله : « ولكن ماحاجتنا إلى من تدير لنا بيتنا ؟ ألسنا ندبر أموره القليلة على أحسن وجه ؟ »

قال : « يا صاحبي ، ليس هذا من شأنك . ولا تخش أن أثقل كاهلك بهذه المديرة المطلوبة . إنما أريد أن أداوى نفسى وأعالج إفلاسها ، وأملأ هذا الفراغ الذى أحسه فى قلبي »

قال الآخر : « ولكن . . . . »

فقاطعه ذاك « لا تعترض يا صاحبي ، فليس عليك بأس من ذلك . »

وخرج ، فمضى إلى صاحب « الكوثر » وكان صديقه ، فناوله الاعلان

فسأله هذا : « أهى السيدة التى . . . ؟ »

قال : « لا ، بل غيرها ، وقد كلفتني أن أقوم عنها بالأمر ، فكم تطلب أجراً للنشر ؟ »

فأبى الرجل أن يتقاضى أجراً

* * *

وجاءت ردود ، بعضها تليفونى ، والبعض رسائل ، فأما التليفونية فأهملها وأبى أن يُعنى بها أو يتقبلها ، وأما الرسائل فكانت ثلاثاً حملها معه إلى البيت ، وهناك فضها وجلس يتدبرها هو وصاحبه ، ويحاول أن يستنبىء الخط والأسلوب عسى أن يعرف منهما — على التقريب — سن الكاتبة وحظها من الجمال .

فتعلقا بواحدة تقول كاتبتها إنها تعلمت فى انجلترا ، وأنها حذقت هذا الفن — فن ادارة البيوت — على مهرة الأساتذة والمعلمات

وقال الذى سمى نفسه فى الاعلان « نينا شقراوى »

« فلنتبع » أسلوب « شرلوك هولز » . إنها تقول إنها تعلمت فى انجلترا ، فلا شك أنها صغيرة السن ، لأن ارسال البنات إلى انجلترا ليتعلمن لا يزال إلى اليوم غير مألوف ، ولم يبلغ أن يكون سنّة ، كارسال الفتيان ؛ ثم ان التى تذهب إلى انجلترا لتتعلم لابد أن يكون أهلها ذوى مال ، وقد تحتاج يا صاحبى أن تسأل — لأنك ذكىٌّ جداً — لماذا إذن تريد أن تكسب رزقها بعرق جبينها ؟ والجواب أنهما فرضان لا أرى لها ثالثاً : الأول أن يكون المال قد ذهب ، وافتقرت الأسرة بعد اليسر ، والثانى أن تكون الفتاة قد تمردت على أهلها لسبب من الأسباب وتركت البيت ، فهى تنشد العمل لتعيش ، كراهة منها للارتداد إلى أهلها صاغرة ذليلة . واضح ؟ حسن ! فلنكتب إذن الرد »

وقام إلى المكتب فكتب ما يأتى :

« الآنسة المحترمة . . . . .

جاءنى ردك ، وأكون شاكرة لك إذا تفضلت بانتظارى فى تمام الساعة الخامسة مساء من يوم . . . . أمام باب « جروبى » بشارع المناخ

وتحياتى إليك وإلى الملتقى

نينا شقراوى »

وتوخى فى كتابة الرسالة أن يطيل حروفا ويقصر أخرى ، ويجعل زوايا الجيمات والدالات الخ ، حادة ، ويعوج السطور ليجئ الخط أشبه ما يكون بخط النساء

* * *

ودنا الموعد ، فقال لصاحبه : « قم بنا »

فنظر إليه صاحبه متعجباً وسأل : « ولكن مادخلى أنا ؟ »

قال : « من يدرى ؟ إنه لا يعلم الغيبَ إلا الله ؛ قم فقد أحتاج إليك . »

ووقفا على الافريز المواجه لباب « جروبى » وصارت الساعة الخامسة ، وإذا بفتاة ممشوقة تقف على الافريز الآخر وترفع عينيها إلى باب جروبى ثم تصوّبها إلى الساعة على يدها ، ثم تتلفت

فقال الذى لا دخل له : « هى والله ! قرأت اسم جروبى ، ونظرت فى الساعة . هيا بنا إليها »

فقال صاحبه « بنا ؟ ماشاء الله ! أظن إنى سمعتك تسألنى ما دخلك فى هذه الحكاية ؟ أم ترى كان غيرك السائل المنكر ؟ »

قال : « إنما أعنى أنه يجب أن تكلمها حتى لا يطول انتظارها فتقلق فتذهب »

قال : « وما يعنيك من قلقها وذهابها ؟ فلتقلق ولتذهب ! »

قال : « ولكن لماذا إذن واعدتها أن . . . . »

قال : « يا أحمق ! إنى أريد — أتفهم ؟ — أريد أن تقلق وتمضى وأزيدك علماً ، فأقول إنى لا أجرؤ أن أكلمها أمام باب جروبى الذى يدخل منه ويخرج كثيرون ممن يعرفوننى . »

وعادت الفتاة فألقت على ساعتها نظرة ثم دارت فمشت . فذهب صاحبنا يمدوخلفها ، حتى إذا دنا منها ناداها باسمها فوقفت وقال :

« معذرة . إن السيدة شقراوى متوعكة ، وقد كلفتنى أن أقابلك »

فقالت الفتاة بابتسامة : « أشكرك ، وأشكرها . لقد خالجنى شك ، فتوهمت لحظة أنى أخطأت . وهل أنت أخوها ؟ »

قال : « أخوها ؟ أوه ! لا ! ابنها فقط . . . »

قالت : « معذرة »

قال : « ألا توافقين على أنى مازلت شاباً تتدفق الدماء الحارة فى عروقى ؟ »

فضحكت وقالت : « بالطبع . . : وأين البيت ؟ »

فساءه أنها غيرت الموضوع وقال : « البيت ؟ البيت ياسيدتى .. فى . . . فى القاهرة »

فسألته : « أى شارع ؟ »

فقال : « أى شارع ؟ هل ينتظر أن تعرفيه إذا قلت لك إنه شارع البسطويسى ؟ » فقطبت وسألت كالمحتجة المستهجنة « البسطويسى ؟ »

قال : « لم يخطئ ظنى . فتاة مثلك غضة السن جداً — وجميلة أيضاً بالطبع — متعلمة فى انجلترا لا يعقل أن تعرف هذه الشوارع التاريخية »

فسألت باهتمام : « أهو شارع تاريخى ؟ »

قال : « لا شك ! أقدم من التاريخ »

فأحست أنه يتهكم وسألته : « والبيت ؟ ما مساحته ؟ »

فقال : « إيه ؟ مساحته ؟ الحق أقول ، لا أعرف »

قالت : « كم غرفة فيه ؟ »

ولم يكن مما قدر ، أن يجرى الحديث هذا المجرى فقال بعد تردد « كم غرفة ؟ آه . . . أقول لك ياستى . . . ثلاث »

فدهشت وصاحت : « ثلاث فقط ؟ »

فقال : « أراك دهشت ! ولك الحق . فانها غرف فسيحة جداً . . تصلح للرقص ، أو لسباق الخيل »

قالت : « لا تمزح . لقد كنت أظنه بيتاً كبيراً »

فسألها : « أليس كبيراً ؟ إنى أراه كبيراً جداً »

قالت : « ثلاث غرف ! ؟ والخدم ؟ ما عددهم ؟ »

قال : « الخدم ؟ أى خدم ؟ »

قالت : « خدم البيت ! »

قال : « ليس فى البيت خدم ! »

قالت : « ماذا تقول ؟ لا خدم ؟ »

قال : « نعم . . . أعنى لا . . . وأى حاجة بنا إلى الخدم ؟ »

قالت : « أى حاجة ؟ كيف يكون بيت بلا خدم محتاجاً إلى مدبرة ؟ »

قال : « ياسيدتى ، لهذا احتجنا إلى مدبرة . فالأمر موكول اليك . . . »

فالت : « لقد كان ظنى غير ذلك . . . كنت أحسبه بيتاً عظيماً غاصاً بالخدم ، أتولى أموره وأدبر شئونه . . . أما هذا . . . لا . لا أظن أنى أستطيع أن أقبل هذا العمل »

قال : « ألا يحسن أن نميل إلى هذا المحل لنتحدث ونتفاهم . »

قالت بلهجة حازمة : « فى أى شئ نتحدث ؟ لقد قلنا كل شئ »

قال : « لا لا لا . . . بالعكس ، لم نقل شيئاً . . . »

فسألت مستغربة : « أى شئ بقى هناك ؟ »

قال : « بقى أن تراجعى نفسك . . فكرى طويلاً قبل أن ترفضى . الانسانية تدعوك أن تقبلى . . . المروءة تناديك وتناشدك . . . إنى شاب ، والبيت كالصحراء ، بل قلبى أيضاً صحراء . . . ومن الشهامة أن تتولى أمرى . . . أعنى أمورنا . . . وأن تحيلى هذه القفار فراديس وارفة الظلال »

فسألته ضاحكة : « أتريد مدبرة أم ساحرة ؟ »

قال : « إيه ؟ آه ! بالطبع . . . ساحرة ؟ أى نعم ساحرة . هذا أحسن . . . ولكنك ساحرة — مافى هذا شك ! ألست موافقة ؟ »

قالت : « على أى شئ ؟ »

قال : « على أنك ساحرة »

قالت : « أوه ! كلا . والآن ، أستأذن . . . »

قال : « تستأذنين ؟ كيف ؟ وبعد أن غصت عليك فى لجة الحياة ؟ »

وعض لسانه من الغيظ ، فقد زل ، وأدركت هى أن فى الأمر غير البيت وإدارته ، فحدقت فى وجهه ثم سألته

« أجبنى — بصراحة . . . ماذا تعنى ؟ »

قال : « أعنى أنك درة وأنه يشق علىّ أن أنفض يدى منك بعد أن فزت بك — هذا ما أعنى ، وبصراحة »

قالت : « هل كنت تعرفنى ؟ »

قال مغالطا : « لقد كنت أحلم بك »

فقالت : « والاعلان ؟ »

قال : « الاعلان ؟ لقد انتهينا منه . وقلت إن الأمر لا يوافقك . . . وأنا مصدقك . . . لايسعنى إلا أن أصدقك . . . إنه بيت لايليق بك . . . إنه . . . إنه قبر . . . خراب . . . . دعينا منه فما كنت أتصور أن ترضى عنه . . . . »

قالت : « وبعد ؟ »

قال : « نتكلم فى شىء آخر . . . إنه لا أكثر من المواضيع الصالحة للكلام . . . مثلاً شعرك ، إنه ذهبى جميل ، وأنا أحب الشعر الذهبى ، يفتننى ، يدير رأسى ، ولو استطعت لجمته كما تجمع طوابع البريد ، وقطع الخزف الثمين ، والسجاجيد الفاخرة . . . وهناك أيضاً موضوع آخر . . . عيناك . . . إنهما نجمان متألقان . . . . »

فصاحت به : « حسبك . وادخر بلاغتك لمن هو أحق بها ،

أعنى لمن له أذنان تصغيان فانى ماضية »

فقال : « وتتركيننى ؟ »

قالت : « آسفة »

قال : « ألا تفكرين ؟ فىّ أنا على الأقل ! »

قالت : « سأفكر فيك طويلاً »

فقال بلهجة الظافر : « كنت أعلم ذلك »

قالت : « إيه ؟ »

قال : « كنت واثقاً أنك رقيقة القلب »

قالت : لا لا . . . إنما أعنى أنى سأفكر فى جرأتك . . . واسمح لى أن أقول : وفى وقاحتك »

فلم ينهزم وقال : « هذا ذنبك »

قالت مستغربة : « ذنبى ؟ »

قال : « على التحقيق : إنك جميـــلة ، فلماذا أنت جميلة ؟ هذا عذرى ! »

قالت : « آه ! » وهمت أن تمضى عنه

فقال : « وشىء آخر ... يجب أن تعلمى أنه لاقيمة لجمالك»

قالت : « ألم أقل إنك وقح ؟ »

قال : « لاقيمة لجمالك إذا لم يعجب به أمثالى . . . بغيرى تكونين وردة فى صحراء . . . من يشمها ؟ من يتأملها ؟ من يقول ما أحسنها ؟ »

قالت : « ألا تخبرنى من أنت ؟ »

قال : « أو يعنيك أن تعرفى ؟ »

قالت : « بالطبع . . . لأنك أوقح من رأيت فى حياتى »

قال : « كلا ، هناك من هو أوقح . . . أوه بمراحل ! صاحبى هذا الواقف هناك . . . أتريده ؟

سأعود اليه الآن وأبلغه أن له — إذا شاء — أن يشمت بى ، لأنى فشلت »

قالت : « أكانت مؤامرة ؟ »

قال : « لقد نهانى فلم أطع ، وجررته معى بكرهه ، وفى مأمولى أن أفوز ، فأباهيه وأفاخره ، أما الآن . . . . . »

قالت : « هذه هى الحقيقة ؟ »

قال : « بلا تحريف . وتعالى اليه لتسمعيها منه إذا شئت.»

فوقفت تفكر برهة كالمترددة ثم التفتت اليه فجأة وقالت :

« هل كنت تعرفنى ؟ »

قال : « سؤال معاد ، وجوابه واحد لايتبدد ولايتغير »

قالت : « لا تعد الى المزاح »

قال : « أؤكد لك أنى جاد جداً »

قالت : « ولكن كيف وثقت أنى سأرد على اعلانك ! »

قال : « هى مقامرة لا أقل . . . »

قالت : « على كل حال ، لابد أن أمضى الآن »

قال : « ونلتقى مرة أخرى ؟ »

قالت : « ربما . . . لا أدرى . . . »

قال : « اذكرى أنى أعرف عنوانك ، فاذا طال الأمر فلا يبعد أن أغزو دارك فانى كما تعلمين مجنون »

قالت : « لا تفعل . . . احذر »

قال : « لا تخافى . . . مع السلامة . . . »

ورجع إلى صاحبه فقال : « ألا تزال واقفاً ؟ لماذا لم تعد إلى البيت ؟ ما فائدتك هنا ؟ »

فسأله : « ماذا صنع الله بك ؟ »

قال : « وكيف يعنيك هذا ؟ أى دخل لك فيه ؟ »

قال : « قل لى بالله ! »

قال : « ولا تشمت ؟ لا فى السر ولا فى الجهر ؟ »

قال : « أو أخفقت ؟ ؟ مبارك ! مبارك ! الحمد لله ! »

ابراهيم عبد القادر المازنى

اشتراك مجانى فى الرسالة

لمدة شهر يناير

لكل من يسدد الاشتراك فى أثناء شهر يناير الحق فى مجموعة كاملة من السنة الثانية للرسالة لا تكلفه غير أجرة البريد وقدرها خمسون مليما فى مصر، ومائتا مليم فى الخارج